الكوارث الطبيعية وانعكاساتها على الحياة الاجتماعية في منطقة ديالى من ١٣٢ – ٨٠٠ هـ / ٧٤٩ – ١٣٩٧ م

أ.م. د. احمد اسماعيل عبدالله الجبوري
جامعة الموصل / كلية التربية

تاريخ تسليم البحث : ٢٠٠٨/١/٢٠ ؛ تاريخ قبول النشر : ٢٠٠٨/٦/١٢

ملخص البحث :

يتضمن البحث الموسوم (الكوارث الطبيعية وانعكاساتها على الحياة الاجتماعية في منطقة ديالى من ١٣٢ – ٨٠٠ هـ / ٧٤٩ – ١٣٩٧ م) دراسة تأثير هذه الكوارث في المنطقة وشمل البحث دراسة موقع المنطقة الجغرافي وقربها من العاصمة بغداد ، وانواع الكوارث الطبيعية مثل الاوبئة والزلازل والفيضانات الجفاف والجراد وكوارث اخرى اقل خطورة من الاولى مثل ارتفاع درجات الحرارة والانجماد والرياح العاصفة.

وتبين لنا من خلال البحث ان الاوبئة كانت هي الاكثر خطورة من الكوارث الاخرى وذلك لسرعة انتشارها وكثرة ما تخلفه من وفيات وتأتي بعدها الفيضانات ، اذ كان نهر دجلة هو الاخطر والاكثر فيضاناً ، ولذلك كانت الدولة تتحسب لحد من خسائرها ، وذلك بانشاء السدود والقناطر والمصدات الترابية ولقد احدثت الكوارث الطبيعية تغيير في خارطة المنطقة السكانية نتيجة هجرة السكان الى مناطق اخرى.

Natural Disasters and their Reflections on the Social Life In Deyala Region for the years 132 -800A.H/ 749-1397D. H

Assist. Prof. Dr. Ahmed Ismail Abd Allah Al gbory
University of Mosul /College of Education

Abstract:

This research included (natural disasters and their reflections on the social life in Deyala region for the years 132 -800A.H/ 749-1397D. H)

the research also studied the effect of these disasters in this region; the location of the geographical place being near from Baghdad; and the kinds of natural disasters like epidemics, earth- quake , floods, dryness, locust and others disasters which are less dangerous like high temperatures, ice, and windstorms.

It is concluded from this research that epidemics were the most serious disasters among the others, because they spread quickly and bring many deaths. The second disaster in its degree is the floods because, Tigris river is the most danger in producing flood, that's why the State was cautions to limit the losses by establishing dams, canals, and dusty blocks.

These disasters have made many changes in the map of the region because of migration the inhabitants to other places.

مقدمة:

كان للكوارث الطبيعية تأثير كبير على الحياة العامة في العراق والاقاليم التابعة لهـا ومنها منطقة ديالى، خاصة وان هذه المنطقة موضوع البحث هي ملاصقة للعاصمة بغداد بل وتعد من اطراف بغداد ويطلق عليها القسم الشرقي من ريف بغداد.

الملاحظ ان تأثيرها واضح وذلك لما تحدثه من اضرار كبيرة على مجـالات الحيـاة كافة مثل القضاء على اعداد كبيرة من الايدي العاملة او تدمير المنشأت مثل المساكن والسدود وقنوات الارواء.

ومن ابرز هذه الكوارث واخطرها الاوبئة وهي امـراض معديـة مثـل الجـدري والطاعون والتيفوئيد فتفتك بالناس اضافة الى سرعة انتشارها حيث لا توجد لقاحات ضـدها كما هو في الوقت الحاضر.

وتأتي الزلازل لتحدث دماراً شاملاً في النواحي المادية والبشرية علـى حـد سـواء وبسرعة لا تتجاوز الساعات او قد تستمر عدة ايام.

ومن الكوارث الاخرى الجفاف وانحباس المطر وهذا يعني موت المزروعات وشحتها وبالتالي حدوث ازمة غذائية وارتفاع في اسعارها وقد يؤدي الى حدوث مجاعة وغالبـاً مـا يرافقها انتشار وباء نتيجة ذلك فتفتك بالناس والحيوانات على حد سواء.

اما الفيضانات فهي الاخرى لاتقل شأناً عن سابقتها من خلال اغراق المزارع والدور والاراضي المجاورة لها خاصة اذا كانت الارض منبسطة وسهلية مثل منطقة ديالى ، ولـذلك كانت الدولة تتحسب فتقوم باقامة القناطر والسدود والمصدات الترابية لتلافي ذلك، اضافة الى ذلك تعويض المتضررين.

ومن الكوارث الاخرى والتي لا يمكن اغفالها سقوط الثلج غير المتوقـع وانخفـاض درجات الحرارة لتصل الى درجة الانجماد وبالعكس ايضاً ارتفاع درجات الحـرارة والـريح العاصفة كلها تؤدي الى هلاك عدد كبير من المزروعات وتهدد حياة الانـسان علـى وجـه البسيطة.

يتضمن البحث المحاور التالية:

أولاً : التسمية والموقع الجغرافي

ثانياً : الكوارث الطبيعية وانعكاساتها على منطقة ديالى وهي:

١. الأوبئة
٢. الزلازل
٣. الفيضانات
٤. الجفاف
٥. الجراد
٦. الكوارث الاخرى

اولاً : التسمية والموقع الجغرافي

١. التسمية

جاءت تسمية ديالى نسبة الى نهر حيث يذكر ياقوت الحموي في تعريفه لديالى بانـه نهر كبير بالقرب من بغداد وهو بعقوبا الاعظم يجري في جنبها، وهو الحد الفاصل بين طريق خراسان والخالص، وهو نهر تامرا بعينه وتامرا في اللغة السريانية[١]. ويذكر ابن رستة انـه نهرٌ يأتي من الجبل يقال له تامرا تجري فيه المراكب والسفن العظمى[٢]. وبقيت التسمية على المنطقة الى الوقت الحاضر.

٢. الموقع الجغرافي

يطلق على المنطقة الواقعة شرقي العاصمة بغداد بـ"اطراف بغداد" وهي كانت تمثل منطقة ديالى في ذلك الوقت وحالياً، وتمتد حدود هذه المنطقة شرقاً حتى قصر شرين وبـلاد

فارس ومنطقة حلوان[٣]. آخر حدودها[٤]. من الجهة اليسرى وتمثل حد السواد مما يلي الجبال وخانقين اخر اعمال السواد[٥]، لذلك فان كورة طريق خراسان تمتد الى حلوان ثم الى بلاد فارس من جهة الشمال الشرقي[٦].

اما الجنوب الشرقي فيكون باتجاه واسط وعند منطقة "بهندف"[٧]. اما من جهة الكوفة فهي اعمال متصلة ولا يمكن تحديدها بالضبط وتقريباً هي عند مدينة الحصّاصة"[٨]. وهي تمثل حدود هذه المنطقة من جهة بغداد والكوفة[٩].

اما الجانب الغربي فبقي نهر دجلة هو الحد الفاصل بين الجهة الشرقية والمتمثلة بمنطقة ديالى وريف بغداد الغربي[١٠]، والملاحظ ان هذه المنطقة واسعة جداً، وتقترب من حدود العراق انذاك وفي الوقت الحاضر.

وتحتوي المنطقة على عدد من الانهار المهمة لان الانهار كما هو معروف هي العامل الأساسي في استقرار السكان وازدهار حياتهم وعمران حضارتهم لذلك تعد المياه مصدراً اساسياً لحياة السكان في سهل ديالى واهمها نهر تامرا والذي سبق ذكره، والذي يتفرع منه من الضفة اليسرى نهر يسمى "مهروذ" عليه عدة قرى في طريق خراسان[١١] والنهروان والذي اطلق في العصر العباسي على القسم الممتد بين ديالى وواسط ويروي قسم كبير من مناطق ديالى[١٢].

وتضم هذه المنطقة عدداً كبيراً من المدن والنواحي والقرى وفيما يأتي اهم هذه المدن والنواحي حسب ما اورده لنا الجغرافيون في ذلك الوقت:

١. بعقوبة : مدينة على قصبة طريق خراسان بينها وبين بغداد عشرة فراسخ[١٣]، كثيرة البساتين، واسعة الفواكة متكاثفة النخل وبها رطب وليمون يضرب بحسنها وجمالها المثل، يجري نهر جولاء في وسطها، وعلى الجانب النهر سوقان، وعليه قنطرة والسفن تجري تحت القنطرة الى منطقة باجسرا وغيرها من القرى وبها عدة حمامات ومساجد وينسب اليها عدة علماء منهم ابو الحسن محمد بن الحسن بن حمدون وقتل بحلوان سنة ٤٣٠ هـ / ١٠٣٨[١٤].
٢. البندنجين "مندلي حالياً" : بلدة مشهورة في طرف النهروان من اعمال بغداد وهي محال متفرقة البنيان ونخلها متصل واكبر محلة فيها تسمى "باقطنايا" وبها السوق والأمير والقاضي وخرج منها عدد من العلماء محدثون وشعراء وفقهاء وكتاب[١٥].
٣. دسكرة الملك: قرية من اعمال طريق خراسان قريبة من شهربان وهي دسكرة الملك كان هرمز بن سابور بن أردشير بن بابل كان يكثر المقام بها، فسميت بذلك وبها اثار للفرس[١٦].

٤. شهربان : قرية كبيرة من نواحي الخالص، شرقي بغداد، وبها نخل وبساتين، وخرج منها عدد من العلماء[١٧].

٥. براز الروز (بلدروز) : من طساسيج (نواحي) السواد في الجانب الشرقي من بغداد وكان للخليفة العباسي والمعتضد بالله فيها أبنية جليلة[١٨].

٦. طريق خراسان : ولاية كبيرة مركزها مدينة بعقوبة ومن المدن التابعة لها باجسرا وشهربان وطابق ومهوذ ومن اعمالها ثمانون قرية[١٩].

٧. الخالص : اسم كورة كبيرة[٢٠] تمتد من شرقي بغداد حتى تصل الى سور بغداد[٢١].

٨. خانقين : بلدة من نواحي السواد في طريق همذان من بغداد بينها وبين قصر شيرين ستة فراسخ، وبها عين نفط عظيمة كثيرة الدخل، وبها قنطرة عظيمة والمرور بها من خراسان الى بغداد[٢٢].

٩. جلولاء : طسوج (ناحية) من طساسيج السواد في طريق خراسان بينها وبين خانقين سبعة فراسخ وهو نهر عظيم يمتد الى بعقوبة ويجري بين منازل اهل بعقوبة ويحمل السفن الى باجسرا وبها كانت الواقعة المشهورة بين الفرس والمسلمين سنة ١٦هـ/٦٣٧م[٢٣].

ثانياً : الكوارث الطبيعية وانعكاساتها على منطقة ديالى وهي:

١. الأوبئة:

من المعروف ان في هذه الفترة الزمنية كانت الامراض الخطرة والمعدية تفتك بالناس بين اونة واخرى مثل مرض الطاعون والجدري والتيفوئيد مما يؤثر سلباً على الناس ويقضي على عدد كبير من الايدي العاملة، وغالباً ما يصاحب تلك الامراض وانتشارها حدوث مجاعة عامة في عموم العراق ومن ضمنها منطقة ديالى مثلما حدث سنتي ١٦٧ هـ / ٧٨٣ م ، ٢٥٨ هـ / ٨٧١ م انتشر الوباء في بغداد وديالى والبصرة وانتشر بين الناس سعال شديد وكان عدد الضحايا كبيراً[٢٤]. ولا ينجو منها الا من يهرب ويغادر المنطقة بعيداً[٢٥].

وكما هو معروف فان تأثير الاوبئة يكون عاماً وليس محدداً وذلك لسرعة انتشارها بين الناس ولهذا كان القسم الشرقي من بغداد عندما يتأثر سرعان ما تتأثر معه منطقة ديالى وذلك لملاصقتها لها مثلما حدث سنتي ٣٢٩ – ٣٣٠ هـ / ٩٤٠ – ٩٤١ م حيث ظهر مرض الحميات ووجع المفاصل وكان علاجه (الفصاد) [٢٦]. في بغداد والمناطق المجاورة لها[٢٧].

وكانت اكثر السنوات سوءاً على اهل العراق عامة وسكان منطقة ديالى خاصة هو ماحدث من غلاء شديد سنة ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م وهي نفس السنة التي سيطر البويهيون فيها على بغداد، حيث اشتدت بالناس المجاعة وأنعدم الخبز، فأضطر الناس الى سد رمقهم باكل الميتة من الحيوانات والحشائش، بل واكثر من ذلك حيث اضطروا الى اكل لحوم الناس

الموتى، وهناك رواية ربما لا تصدق والتي تذكر بان الدابة اذا راثت اجتمع الناس على الروث ففتشوه ولقطوا مايجدون فيه من شعير فاكلوه[٢٨].

وقد لحق بالناس من جراء ذلك امراض خبيثة واورام سرطانية مات اكثر المرضى على اثرها، وقد فتك الجوع بكثير من الناس وقد ظهر قسم منهم خارجاً من بيته الى الطريق بحثاً عن الخبر ويصرخ –الجوع ، الجوع– فلا يغيثه احد فيموت[٢٩].

ويذكر اذا وجد احدهم اليسير من الخبز ستره في ثيابه خوفاً من ان يسلب منه بالقوة لان الجميع في جوع وضيق، وازداد عدد الموتى حتى انه لم يلحق الناس دفنهم وشوهدت الكلاب وهي تأكل لحومهم[٣٠].

ولهذا السبب اضطر الناس من اهل ديالى الى الهجرة الى بغداد والبصرة متابعين لأكل التمر فمات اكثرهم في الطريق او بعد وصولهم بقليل، واضطرت قسم من النسوة الى اكل لحم الصبيان وهم احياء ثم عرف خبرهن فقتلن، ورخصت اسعار العقارات والاراضي فأصبحت تباع بالرغفان وحتى الدلال يأخذ ثمن دلالته خبز[٣١].

وكان مرض الملاريا منتشراً ومشهوراً في منطقة ديالى وذلك لكثافة المزروعات والاشجار فيها[٣٢].

وفي سنة ٤٥٣ هـ / ١٠٦١ م كان في عموم العراق غلاء شديد وجفاف اعقبه وباء عظيم حتى وصل الى بلاد الشام وخراسان وغزنة والهند وكثر الموت بين الناس[٣٣].

وهناك امراض عامة تصيب الناس مثل الجدري الذي انتشر في العراق سنة ٤٩٩ هـ / ١١٠٦ م وضحاياه معظمها من الصبيان وذلك لسرعة انتشار العدوى بينهم[٣٤]. وفي سنة ٧٣٠ هـ / ١٣٢٩ م كان الغلاء المفرط والوباء الشديد في بغداد وديالى حتى اكل الناس الجيف وبيع كر[٣٥] الحنطة بثلاثمائة دينار[٣٦].

وزادت الضائقة الاقتصادية في بلاد المشرق بصورة عامة والعراق بصورة خاصة بعد وفاة السلطان ابي سعيد اخر سلاطين الايلخانيين وبسبب الحروب بين الطامعين بالعرش، وشهد العراق اسوأ الازمات الاقتصادية حيث استمرت المجاعة فيه اكثر من عشر سنوات واشتد الغلاء في بغداد والموصل سنة ٧٣٨ هـ / ١٣٣٧ م[٣٧].

وفي سنة ٧٤٠ – ٧٤٣ هـ / ١٣٣٩ – ١٣٤٢ م كان اهل العراق في غلاء وهرج وفي غلاء بلاد المشرق حتى بيع رطل الخبز المصري بثمانية دراهم فضة واكلت الجيف وفنيت الدواب ووصف ابن حجر هذا الغلاء بقوله: "وبيعت لحوم الادميين في الاسواق جهراً ودامت ستة اشهر"[٣٨].

وفي سنة ٧٤٦ هـ / ١٣٤٥ م كان وباء الطاعون العام، الذي عمَّ كل بلدان العالم والذي لم يسمع مثله حتى قيل انه سبب موت نصف سكان العالم، حتى الطيور والوحوش والكلاب لم تسلم منه[٣٩].

وظهر وباء الطاعون مرة اخرى في العراق بصورة عامة وبدون استثناء في السنوات ٧٤٩ – ٧٦٤ – ٧٩٢ – ٧٩٩ هـ / ١٣٤٨ – ١٣٦٢ – ١٣٨٩ – ١٣٩٦ م وهلك بسببه عدد كبير من الناس لم يحصَ عددهم ولم تشر اليه المصادر[٤٠].

٢. الزلازل

الزلزلة في كلام العرب – تحريك الشيء[٤١]، ورد ذكر الزلزلة في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا(١)وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا(٢)وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا(٣)يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا(٤)بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا(٥) ﴾[٤٢]، وفي قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ(٦)تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ(٧)قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ(٨)أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ(٩) ﴾[٤٣].

والزلازل هي حركات تموجية تصيب القشرة الارضية، وتنتشر من مراكز معينة في قشرة الارض وفي جميع الاتجاهات[٤٤].

اما التوزيع الجغرافي للزلازل فالملاحظ ان منطقة اخاديد شرق افريقيا وجنوب غرب اسيا، حيث ترتبط المنطقة بنطاق ضعف في قشرة الارض يمثلها اخدود كبير من الشمال الى الجنوب، ويبدأ في وادي البقاع في لبنان بين جبال الانصارية في الغرب وجبال الداخلية في الشرق ثم يتجه الاخدود وجنوباً ليظهر في فلسطين في بحيرة طبرية وغور الاردن والبحر الميت ووادي عربة، وهنالك شعب للنشاط الزلزالي مثل هضبة سوريا والاردن[٤٥].

ومن هنا يمكن القول ان العراق خارج الخط الزلزالي وقد يتأثر بشي قليل بين فترة واخرى.

ومثال على ذلك ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م ضرب زلزال العراق بأجمعه واستمرت هذه الزلازل اربعين يوماً متفاوتة في الشدة بين يوم واخر فغارت المياة وسقطت المنازل وهلك عدد كبير من الناس[٤٦].

وفي سنة ٦٠٠ هـ / ٢٠٣ م حدثت زلزلة في العراق عامة ومنها منطقة ديالى واحدثت اضراراً جسيمة في الارواح والممتلكات[٤٧].

وحدث زلزال في بغداد والمناطق المجاورة لها سنة ٧٩٠ هـ / ١٣٨٨ م وادى الى هدم بعض الدور واعقبه هطول امطار غزيرة اغرقت الدور والاسواق[٤٨].

٣. الفيضانات

من المعروف ان لفيضان نهري دجلة والفرات تأثيراً واضحاً على الاراضي الزراعية المجاورة لها وكذلك السكان ولهذا كانت الدولة تتحسب من اخطارها فتقوم بانشاء السدود والقنوات لتصريف المياه وبناء المصدات الترابية لتلافي ذلك ومع كل هذا نجد ان هناك خسائر واضحة في الارواح والممتلكات وذلك لارتفاع منسوب المياه بشكل كبير، ومثال على ذلك فيضان نهر دجلة سنتي ٢٠٥ – ٢٠٦ هـ / ٨٢٠ – ٨٢١ م وتأثيره على منطقة ديالى في هدم المنازل واغراق الاراضي الزراعية واتلاف المزروعات حيث غمرت المياه الاراضي الزراعية المتتدة بين بغداد وديالى وواسط واغرقت منطقة كسكر[٤٩]. وقطيعة ام جعفر[٥٠].

وفي سنة ٣١٠هـ/ ٩٢٢م ازداد منسوب نهر دجلة الى ثمانية عشر ذراعاً[٥١]. ونصف فأرتفعت المياه وأغرقت المناطق الزراعية بين بغداد وديالى وواسط في الجانب الشرقي وأنبثق في مدينة واسط وحدها سبعة عشر شقاً، وكان نصيب القرى لهذه المنطقة الغرق وتلف الأرض الزراعية[٥٢]. وغرق الجانب الشرقي من بغداد والذي يقع ضمن منطقة ديالى والمناطق المجاورة له سنة ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م عندما زادت مياه دجلة زيادة كبيرة فأنفجر بثق في جانبها الشرقي وأغرق الدور والأراضي المجاورة له[٥٣].

وفي سنة ٤٠١هـ/ ١٠١١م زادت مياه دجلة احدى وعشرين ذراعاً وغرق كثير من بغداد وضواحيها ومنها منطقة ديالى وانقطعت الطرق والسواقي، وتعذر على الناس الحج الذي صادف موسمه مع فيضان نهر دجلة فخشي الناس من الغرق[٥٤].

وكانت الحكومة تدرك خطر الفيضان الذي يهدد البلاد باستمرار ولذلك فقد تأثرت اعمال ريف بغداد بفيضان نهر دجلة بالذات، فالفيضان الذي حدث سنه ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م في عهد آخر خليفة عباسي وهو المستعصم بالله يعد من أشد الحوادث اضراراً، وزاد من سوء الأحوال الاقتصادية والاجتماعية التي ساهمت في سقوط بغداد على يد المغول بعد سنتين، حتى ان اهالي بغداد ظلوا يذكرونه ويمسونه (الغرق المستعصي) لان سيل الماء استمر ينهمر على بغداد خمسين يوماً، وادت هذه الى غرق كورة الخالص وقرية حي والراشدية والعباسية وما يجاورها[٥٥]. وكان لاحتلال هولاكو لمدينة بغداد أثره المدمر لقلب الأمة الإسلامية فانها فقدت بعد الاحتلال منزلتها بعد ان كانت عاصمة للخلافة العباسية ومركزاً للدين الإسلامي مدة خمسة قرون، زيادة على ما أصابها من الخراب من جراء نهبها وقتل الكثير من أهلها[٥٦]. وارتفع منسوب نهر دجلة سنه ٧٥٧هـ/ ١٣٥٦م فغمرت المياه كثير من بيوت مدينة بغداد ومنطقة ديالى، وارخ الشاعر سلمان الساوجي هذا الفيضان ببيت من الشعر جاء فيه:

"في سنه ٧٥٧هـ خرب الماء المدينة العظيمة أتم خراب محق الله ذلك الماء، فوا أسفاه عليك يا بغداد، ياروضة البلاد التي هدمت سماؤك ما هدمت ووخربت ما خربت"[٥٧]. وفي موسم الربيع فاض نهر دجلة سنة ٧٦٥هـ/ ١٣٦٣م، ودمر كثيراً من الامكنة، وصادف ذلك في ثورة والي بغداد الخواجة مرجان الذي كسر سور قورج واغراق المدينة لمسافة اربعة فراسخ وتأثرت منطقة ديالى من جراء ذلك لقربها من بغداد[٥٨]. وجاء الفيضان الأخطر في سنة ٧٧٥هـ/ ١٢٧٣م حيث اختلط نهر دجلة مع الفرات، وصارت الرصافة ومشهد الأمام أبي حنيفة النعمان وغيرها من المشاهد والمزارات لا يصل اليها الأ في مراكب، وأنفتحت فتحة على باب الأزج في الجانب الشرقي من بغداد والقريبة من منطقة ديالى التي تأثرت بشكل كبير من جراء ذلك فانفق في سدها عشرة ألاف دينار، وزاد في خطره هبوب رياح عاصفة فأغرقت الدور ومات تحت الهدم كثير من الناس، وهرب الناجون الى المواقع المرتفعة خوفاً من الغرق، واستمر الماء ما يقارب الشهر، وبلغ عدد المنازل التي دخلها الماء عدة ألاف وكذلك عدد الضحايا، حتى ان والي بغداد الخواجة سرور مات حزناً على ما أصاب المدينة من الخراب نتيجة الفيضان[٥٩].

٤. الجفاف

كان موسم المطر يمثل ربيعاً خصباً للناس يستبشرون به خيراً بسبب كثرة المزروعات وزيادة غلاتها ومن ثم رخص اسعارها وارتفاع مستوى المعيشة لدى الناس، اما الجفاف فهو على العكس تماما ضيق شديد وارتفاع كبير في الاسعار وشحة في المواد الغذائيةوفي القران الكريم ايات فيها اشارة واضحة الى اهمية الماء والارض والزرع وحاجة الانسان اليها ومن هذه الايات ما جاء في قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٦٠].

وكانت زراعة الحنطة والشعير هي السائدة وارتفاع اسعارها دليل على غلاء المعيشة بسبب الجفاف ونؤكد ما ذهبنا اليه سنة ٢٠٧ هـ / ٨٢٢ م حيث غلا السعر في عموم العراق ومنها منطقة ديالى حتى بلغ القفيز[٦١] من الحنطة ما بين الاربعين درهماً[٦٢].

وقد يقترن الدمار الطبيعي مع الاحداث السياسية التي تؤدي الى اضطراب الاقتصادي وهذا ماحدث سنة ٣٢٦ هـ / ٩٣٧ م ، حيث قام ابن رائق باحداث شق متعمد في النهروان في محاولته الفاشلة للدفاع عن امارته امام تقدم القائد التركي بجكم من واسط الى العاصمة بغداد وكان المتضرر الاول منطقة ديالى وكذلك تحول النهروان الى اسفل ديالى واجهت المنطقة الكثيفة السكان على اثرها مشكلة شحت المياه، مما لم يكن له حل سوى الهجرة

المؤقتة وقد انعكست هذه الكارثة على بغداد حيث ندرت الحنطة ومما زاد في الامر سوءاً المشاجرات التي حدثت بين الجند الاتراك والمتطوعة الديلم[٦٣].

واضطر الناس في بغداد والمناطق المجاورة لها الى اكل التمر والباقلاء والحشيش واوراق التوت بسبب غلاء الاسعار وشحة المواد الغذائية سنة ٥٠٢ هـ / ١١٠٩ م[٦٤].

وانقطع المطر وقلة الاقوات وغلت الاسعار سنة ٥١٨ هـ / ١١٢٤ وسنة ٥٣٤ هـ / ١١٣٩ م في العراق عامة وكثرت الامراض من جراء ذلك[٦٥].

٥. الجراد

الجراد لغة : بفتح الجيم وتخفيف الراء معروف والواحدة جرادة والذكر والانثى سواء كالحمامة، ويُقال انه مشتق من الجَردْ لانه لا ينزل على شيء الا جرَّده[٦٦].

وجاء ذكره في القران الكريم في قوله: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴾[٦٧].

وتعتبر مشكلة الجراد من اقدم المشاكل التي جابهها الانسان منذ احترافه الزراعة، حيث اقدم مصدر مدون عن الجراد هو صورة الجرادة وجدت على مقبرة احد المصريين القدماء والتي يرجع تاريخها الى ٤٠٠ سنة ق.م، ولقد ذكر الجراد في الكتابات القديمة للمصريين والاغريق والصينيين[٦٨].

ويمتاز الجراد الصحراوي بظاهرة الهجرة من مكان الى اخر باسراب هائلة ينشر الخراب والقحط اينما حل بسبب التلف الشديد للمزروعات وينتشر الجراد الصحراوي انتشاراً واسعاً في افريقيا واسيا وبعض اجزاء اوربا[٦٩].

يغير هذا النوع من الجراد على الصومال والسودان وشما افريقيا واالجزيرة العربية والعراق وايران وباكستان، ويهاجم هذا النوع اشجار الفواكه ونياتات الخضر ويعد من اخطر الافات التي عرفت حتى الان فهي تلتهم يومياً ما يعادل وزنها من الطعام، ويستطيع ان يدمر حقولاً باكملها في غضون دقائق[٧٠]، وترصد الميزانيات الظخمة لمكافحة الجراد في الوقت الحاضر فلقد ظهر سنة ٣١١ هـ / ٩٢٣ في العراق بصورة عامة ومنها منطقة ديالى التي تشتهر بكثافة المزروعات فيها وخافه الناس[٧١]، وتكرر ظهوره سنة ٣٤٢ هـ / ٩٥٣ م وبقي في المزروعات عدة ايام[٧٢]، وقد يلجأ الناس الى دق الطبول في مزارعهم للتخلص منه ومن الطيور الاخرى.

وظهر مرة اخرى سنة ٥٤١ هـ / ١١٤٦ م واضر بالمحاصيل الزراعية في عموم العراق[٧٣]، وظهر في العراق وبلاد الجزيرة وديار بكر والشام واهلك الغلات والخضر سنة ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م[٧٤].

والتهم الجراد المزروعات في العراق ومنها منطقة ديالى وكان سبباً في ارتفاع اسعار المواد الغذائية في الاعوام ٧٤٣ – ٧٤٧ – ٧٨٩ – ٧٩٣ هـ / ١٣٤٢ – ١٣٤٦ – ١٣٨٧ – ١٣٩١ م[٧٥].

٦. كوارث اخرى

هنالك كوارث اخرى اقل نسبياً ويكون تأثيرها بشكل محدود في فترات زمنية متباعدة مثل:

أ. انخفاض درجة الحرارة

مثلما حدث سنة ٤١٧ هـ/١٠٢٦ م حيث انخفضت درجات الحرارة الى درجة الانجماد وجمد الماء في نهر دجلة والنهروان الذي يروي مساحة واسعة من منطقة ديالى، وتأخر سقوط المطر، ولم تزرع المحاصيل الزراعية الا القليل منها[٧٦].

وبسبب البرد فُقدت الارطاب عامة ومنها ديالى المشهورة بزراعة النخيل حيث لم تنضج، ووصل قليل من الاماكن البعيدة المجاورة للعراق وكان سنة ٤١٩ هـ/١٠٢٨ م[٧٧].

ووصلت درجات الحرارة الى درجة الانجماد سنة ٤٣٠ هـ/١٠٣٩ م في بغداد وديالى وارتفع الثلج الى ما يقارب عشرة سنتمرات، وجمد الماء لمدة ستة ايام متتالية[٧٨].

ب. الثلوج

كان لتساقط الثلوج أثره السيء على المزروعات ومما يسبب في اتلافها ففي سنة ٤١٨ هـ/١٠٢٧ م وصل وزن الحبة من الثلج الى رطل[٧٩] واحد واخرى رطلان واصغره مثل حجم البيضة فأهلك المحاصيل الزراعية في العراق عامة ولم ينجو الا القليل[٨٠].

وتكرر سقوطه في العراق عامة واهلك المزروعات والمواشي في السنوات ٧٤٥ – ٧٥٥ هـ/١٣٤٣ – ١٣٥٤ م[٨١].

ج. الرياح القوية

ارتفعت في العراق ريح سوداء شديدة سنة ٤٢٠ هـ/١٠٢٩ م. قلعت الاشجار كباراً وصغاراً مثل اشجار الزيتون شرقي النهروان (منطقة ديالى) وقلعت بعض النخيل، وسقف المسجد الجامع في بعض القرى[٨٢].

الخاتمة

تبين لنا من خلال البحث الموسوم "الكوارث الطبيعية وانعكاساتها على الحياة الاجتماعية في منطقة ديالى من ١٣٢-٨٠٠ هـ/٧٤٩-١٣٩٧ م النتائج الآتية:

١. قرب منطقة ديالى من بغداد جعلها تتأثر كثيراً لما يحدث في بغداد من اضطرابات سياسية واقتصادية واجتماعية.
٢. ان تأثير الاوبئة كان الاكبر والاخطر من الكوارث الاخرى وذلك لسرعة انتشار العدوى بين الناس وبين افراد العائلة الواحدة، وقلة العلاج المضاد لها والخسائر الكبيرة في الثروة البشرية واالحيوانية على حد سواء.
٣. غالباً ما تتحسب الدولة في الحد من خسائر هذه الكوارث وبصورة خاصة الفيضانات فتقوم بإنشاء السدود والقناطر والمصدات الترابية على جانبي نهري دجلة والفرات، وكان نهر دجلة هو الاخطر والاكثر فيضاناً، وكذلك تقوم بتعويض المتضررين.
٤. ان هذه الكوارث الطبيعية أحدثت تأثيراً وتغييراً في خارطة سكان العراق ومنها منطقة ديالى وخاصة فترة الغلاء والمجاعة والتي يضطر الناس فيها للهجرة الى مناطق اخرى طلباً للعيش وقد يلجأ الى مغادرة العراق.
٥. تعتبر منطقة ديالى الممر الوحيد لعبور الاقوام الغازية للعراق من جهة الشرق وغالباً ما تتعرض الى التخريب والتدمير من قبل تلك الجيوش مثلما حدث عند دخول البويهيين والسلاجقة، اضافة الى ما يصيبها من الكوارث الطبيعية.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم

أولاً : المصادر الأولية

ابن الأثير: عز الدين بن الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد الشيباني (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢م)

١. الكامل في التاريخ ، الطبعة الاولى، بيروت ، ١٩٦٥.

الأصطخري: ابو اسحاق بن ابراهيم بن محمد "ت في النصف الأول من القرن الرابع الهجري"

٢. المسالك الممالك، تحقيق: محمد جابر عبد العال الحيني، مطابع دار القلم (القاهرة: ١٩٦١).

البغدادي: صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق "ت ٧٣٩ هـ/ ١٣٣٨م"

٣. مراصد الأطلاع (٣) اجزاء، تحقيق: علي محمد البخاري، الطبعة الأولى ادار احياء الكتب العربية (القاهرة: ١٩٥٤)

ابن الجوزي : جمال الدين ابي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي (ت ٧٥٩ هـ/ ١٣٥٧م)

٤. المنتظم في التاريخ الملوك والامم، ١٠ اجزاء، الطبعة الأولى، مطبعة دار المعارف العثمانية، حيدر اباد، ١٤٧٥هـ

ابن حجر العسقلاني: شهاب الدين ابي الفضل احمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ/ ١٤٤٨م)

٥. الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة، ٥ اجزاء، تحقيق: محمد سيد جاد الحق، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٦٦.

ابن حوقل: ابو القاسم محمد بن علي النصيبي "ت ٣٦٧ هـ/ ٩٧٧م"

٦. صورة الأرض، مطبقة فؤاد بيبان وشركاؤه (بيروت: د/ ت)

ابن خرداذبة: ابو القاسم ابو عبيد الله بن عبد الله "ت حوالي ٣٠٠ هـ/ ٩١٢م".

٧. المسالك والممالك، باعتناء ديغويه (لندن: ١٨٨٩م)

الذهبي: شمس الدين ابي عبد الله محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ/ ١٣٤٧م).

٨. دول الأسلام، جزءان، الطبعة الثانية، حيدر اباد الدكن، ١٣٦٥ هـ.

ابن رستة: ابو علي أحمد بن يحيى "ت بعد سنة ٢٩٠ هـ/ ٩٠٣م"

٩. الأعلاق النفيسة، اعاد طبعة بالأوفست مكتبة المثنى، بغداد، مطبعة بريل (لندن: ١٨٩١)

سبط ابن الجوزي: شمس الدين ابي يوسف قزاوغلي التركي (ت ٦٥٤ هـ/ ١٢٥٦م)

١٠. مرآة الزمان في تاريخ الاعيان، الطبعة الاولى، مطبعة دار المعارف العثمانية، حيدر اباد، الهند.

الطبري: ابو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ/ ٩٢٢م).

١١. تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة ١٩٦١- ١٩٦٨.

ابو الفدا: عماد الدين اسماعيل بن علي (ت ٧٣٢ هـ/ ١٣٣١م).

١٢. المختصر في اخبار البشر، ٧ اجزاء، دار الكتب اللبناني، بيروت.

الغساني: عماد الدين ابو العباس اسماعيل بن العباس بن علي بن داود (ت ٨٠٣ هـ/١٤٠٠م).

١٣: العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، تحقيق : شاكر محمود عبدالمنعم ، دار التراث الاسلامي ، بيروت، ١٩٧٥م.

المقدسي: شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد بن ابي بكر (ت ٣٧٥ هـ/ ٩٨٥م).

١٤. احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، الطبعة الثانية، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٠٦.

المقريزي: تقي الدين احمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ/ ١٤٤١م).

١٥. السلوك لمعرفة دول الملوك، ٢ جزء، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤١.

مسكويه: ابو احمد بن محمد (ت ٤٢١ هـ/ ١٠٣٠م).

١٦. تجارب الأمم، ٦ اجزاء، نسخ وتصحيح: هـ- ق امسدروز، مطبعة شركة التمدن الصناعية، القاهرة، ١٩١٤- ١٩١٥.

ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي بن احمد الأنصاري الأفريقي (ت ٧١١ هـ/ ١٣١١م).

١٧. لسان العرب المحيط، قدم له العلامة الشيخ عبد الله العلايلي، اعداد يوسف خياط، بيروت، د، /ت.

ياقوت الحموي: شهاب الدين ابو عبد الله (ت ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٨م).

١٨. معجم البلدان، ٥ اجزاء دار صادر، دار بيروت، ١٩٥٥- ١٩٥٧.

ثانياً. المراجع الحديثة :

ابراهيم، ناحية عبد الله.

١٩. ريف بغداد، دراسة تاريخية لتنظيماته الادارية واحواله الاقتصادية، بغداد، ١٩٨١.

ادمز، روبرت

٢٠. اطراف بغداد، تاريخ الاستيطان في سول ديالى، ترجمة: د. صالح احمد العلي، د. علي المياح، د. عامر سليمان، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٤

بحيري، صلاح الدين

٢١: أشكال الأرض، الطبقة الأولى، دار الفكر، دمشق، ١٩٧٩.

بولت، بروس.

٢٢: الزلازل، الكتاب الرائد، ترجمة: سهيل السنوي، الطبقة الأولى، ١٩٨٨.

جرجيس وآخرون، سالم جميل

٢٣: حشرات البساتين، دار الكتب للطباعة والنشر، موصل، ١٩٩٢.

سوسة، احمد

٢٤: فيضانات بغداد في التاريخ، مطبعة الأديب، بغداد، ١٩٦٥.

العاني، نوري عبد الحميد،.

٢٥: العراق في العهد الجلائري، ٧٣٨- ٨١٤ هـ/ ١٣٣٧- ١٤١١م. دراسة في اوضاعه الأدارية والأقتصادية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦.

عبد الحسين، علي

٢٦: بعض الملاحظات عن الجراد ومكافحته في العراق، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٦١

القزاز، محمد صالح.

٢٧: الحياة السياسية في العصر العباسي الأخير- ٥١٢- ٦٥٦ هـ، مطبعة القضاء، النجف، ١٩٧١.

هنتس، فالتر.

٢٨: المكاييل والأوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة: كامل العسلي، مطبعة القوات المسلحة، عمان، ١٩٧٠.

الورد، باقر امين.

٢٩: حوادث بغداد في ١٢ قرن، بغداد، ١٩٨٩.

الملحق (١)

فيما يلي إحصائية بالخسائر المادية والبشرية للمنطقة خلال مدة البحث

نوع الكارثة	حجم الخسائر		السنة
	بشرية	مادية	
١. الأوبئة والغلاء			
وباء	خسائر بشرية		١٦٧ هـ
مرض الحميات	خسائر بشرية تقدر بالاف		٣٢٠ – ٣٣٠ – ٣٤٧ هـ
غلاء	خسائر بشرية تقدر بالاف		٣٣٤ – ٣٥٤ هـ
الجدري	خسائر بشرية		٤٩٩ – ٧٣٨ – ٧٤٠ – ٧٤٣ هـ
الطاعون	خسائر بشرية		٧٤٦ – ٧٤٩ – ٧٦٤ – ٧٩٢ – ٧٩٥ هـ
٢. الزلازل			
	خسائر كبيرة لا تحصى	سقوط عدد كبير من المنازل	٣٤٦ هـ / ٨٥٩ م
	لم تذكر الخسائر	لم تذكر الخسائر	٥١١ هـ /١١١٨ م
	خسائر كبيرة لم تحصى	خسائر كبيرة لم تحصى	٦٠٠ هـ / ١٢٠٣ م
	خسائر قليلة	لا توجد خسائر	٧٩٠ هـ / ١٣٨٨ م
٣. الفيضانات			
	لا يوجد	هدم المنازل وغرق المزارع	٢٠٥ – ٢٠٦ هـ
	لا يوجد	غرق المزارع	٣١٠ هـ / ٩٢٢ م
	لا يوجد	غرق الدور والمزارع	٦٣٧ هـ / ٩٧٧ م
	لا يوجد	لا يوجد	٤٠١ هـ / ١٠١١ م
	لا يوجد	خسائر مادية	٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م
	لا يوجد	غرق عدد من الدور	٧٥٧ هـ / ١٣٥٦ م ٧٦٥ هـ / ١٣٦٣ م
	عدد كبير من الناس لم يحصى عددهم	الاف المنازل	٧٧٥ هـ / ١٣٧٣ م
	لا يوجد	غرق المزارع	٧٩٦ هـ / ١٣٩٤ م
٤. الجراد			
	لا يوجد	تلف المزروعات	٣٤٢ – ٣٤٨ – ٦٢٠ – ٧٤٣ – ٧٤٧ – ٧٨٩ هـ
٥. انخفاض درجات الحرارة			
	لا يوجد	تلف المزروعات	٤١٧ – ٧٤٥ – ٧٥٥ هـ
٦. الثلوج			
	لا يوجد	تلف المزروعات	٤١٨ – ٧٤٥ – ٧٥٥ هـ
٧. الرياح			
	لا يوجد	تلف الاشجار	٤٢٠ هـ / ١٢٠٩ م